ملخص بحث دور الجغرافيا في مسارات الشرق الأوسط

تم البحث في : ١٠/٩/٢٠١٤
تم التلخيص في: ١١/١٢/٢٠١٤

bohooth1@gmail.com

تحدث الثورات العربية وينتج عنها جغرافيا لسياسة جديدة تتميز بأنها تؤسس لعنف ذي أبعاد من جهة، إضافة إلى تجزئة محتملة على أسس طائفية.

ما دور الخرائط الجغرافية في مسار الأحداث:

يشير الباحث إلى أن النظر في خريطة الشرق الأوسط يظهر أن هناك قوتان تحاولان الهيمنة والسيطرة على الشرق العربي معتمدين على ضعفه وتفككه. تتجلى القوة الأولى بإيران والمؤثرة في كل من العراق ولبنان وسوريا، ويذكر هنا الجنرال رحيمي الذي أشار للإمبراطورية المطلة على شواطئ المتوسط، أما القوة الثانية فهي روسيا التي وضعت أرجلها في البحر الأسود وتحتفظ بموقعها على الساحل السوري وتسعى للتمدد إلى الساحل الغربي في شمال أفريقيا على المتوسط وهذا واضحا للعيان حتى في مجلس الأمن. أما على الجانب الآخر فنجد الطرف العربي وهو منقسم لـ "العربية الرسمية"، وإلى "العرب الجهاديين"، وهو ما يطلق عليهم اسم "الإرهابيين". بعد ذلك يتطرق البحث لجغرافيا الانتداب الإيراني: ففي كل من سوريا والعراق واليمن، نرى السلطة القائمة ومعارضوها، والتنظيمات المسلحة الإيرانية التي تدعم السلطات وكذلك نرى التطرف الإسلامي القابع بين السلطة والمعارضة، فمنذ عام ٢٠٠٣م، تم تهميش سنة العراق واضطهادهم، ثم تلاها دخول أبو مصعب الزرقاوي من سوريا حيث حدثت الحرب الإهلية (٢٠٠٦- ٢٠٠٨م)، وتم الاتفاق بين الأمريكيين والإيرانيين والمالكي بعدم التحرش بهم وعدم تحرش حزب الله بإسرائيل بالإضافة إلى عدم التعرض لنظام الأسد وفي ذات الوقت عدم إزعاج الأكراد وإرضاء السياسيين السنة. إذا تم الاتفاق ولكن دون الاهتمام بالسنة والأكراد، فتم الهجوم على المتظاهرين، وهرب المئات من سجناء القاعدة من سجن أبو غريب، فبعضهم انضم للأسد وآخرون أصبحوا في صحراء العراق، وهكذا تراهن إيران على موافقة الأمريكيين لقمع السنة بحجة الإرهاب وكبح الأكراد بداعي الأمن. لكن السوريين لم يستفيدوا مما حصل في العراق بسبب ضعف التسليح، وانقسام القيادات والفساد الهائل وثبات جيش النظام، وهنا تبرز داعش والتي لوحظ تحركها في المناطق السنية وتقتيلها لهم، وبالتالي يتنافس كل من الداعشيين وقوات المالكي والميليشيات الإيرانية على قتل العرب السنة.

وهنا يتساءل الباحث هل يريد الإيرانيون تقسيم سوريا؟ بالتأكيد، نعم إن أتيح لهم ذلك سياسيا وديموغرافيا وقتاليا. أما في اليمن فالحوثيون بدأوا بالاستيلاء على المدن اليمنية إضافة إلى أن إيران تدعم الانفصاليين الجنوبيين ضد الدولة اليمنية وبالتطرق للتصريحات الإيرانية نرى أن هناك إعلان صريح منها لفرض انتداب على دول المنطقة من العراق لسوريا حتى جنوب لبنان وصولا لأفغانستان واليمن والسودان وغزة، إذ تحاول طهران فرض هذا التمدد الجيوسياسي، لكن منابع الطاقة واستقرار أنظمتها تلغي أحلام طهران بالنفوذ، ورغم هذا فإنها تدفع بكافة الوسائل لتحقيق ذلك واضعة في الحسبان غزو أمريكا لأفغانستان والعراق، وكذلك الربيع العربي.

bohooth1@gmail.com

يأتي الباحث الآن على ذكر تهديدات الجغرافيا السورية: تقع سوريا بين حدي عبء الجغرافيا وعبقرية المكان مما أكسب النظام قوة ضخمة استخدمها ضد ثورة الشعب السوري، إذ أنه يفعل ما يشاء من قتل وتدمير دون رقيب أو محاسب ليبقى الثابت هو عدم تعريض أمن إسرائيل للخطر وهو الثابت منذ حكم حافظ الأسد إلى هذا الوقت. ولا يخفى على الجميع أن اهتمام المنظومة الدولية كان بضبط السلاح الكيميائي وليس تحقيق الديمقراطية في سوريا ولا سيما أمريكا ذات الموقف المتردد في دعم الثورة السورية وهكذا فإننا نرى بعد بيان جنيف ٢٠١٢م، سيطرة المعارضة المسلحة على مساحة من الجغرافيا السورية، وهنا حانت الفرصة الذهبية للأسد لاستخدام السلاح الكيميائي ليوافق بعدها على تسليمه مما يمنحه الفرصة للبقاء فترة أطول، وفي نفس الوقت هيأ الجو لازدهار تنظيم الدولة الإسلامية، والآن نصل إلى عاصمة الثورة السورية "حمص"، التي أدخلوها في عدة صفقات إلى أن نزح عنها أهلوها وتحولت لمدينة مدمرة ولكن كيف تعمر من جديد بعد كل هذا الخراب في العمران والنسيج الاجتماعي، الجميع يحرص على وحدة سوريا، لكن كيف؟؟

الغرب ودور الطائفة العلوية: يشير البحث إلى أن الدول الكبرى لا ترى ضيرا في "تمزيق سوريا" لدويلات والتي استبعدت منذ البداية الحل السياسي لسببين: فالغالبية الساحقة على البنية الديمغرافية هي للطائفة السنية ورغم ذلك يعارضون "الدول الكبرى" قيام دولة سنية في سورية، لذا بعد موت حافظ الأسد جاؤوا ببشار الأسد كي لا تفضح مخططاتهم، والثاني أن سوريا قادرة على الاكتفاء الذاتي، طبعا بتوافر قيادات مخلصة وحكيمة. فهم يسعون لإعادة هيكلة البنية الديمغرافية لسوريا بما يقومون به من إرهاق وإذلال للشعب السوري، فالنظام السوري يسعى للتقسيم بما يحظى به من دعم وحمص هي مركزا لهذا المشروع كونها في الوسط السورين، لكن بالمقابل هناك شبح التوسع وهو محتمل كون سوريا هي جزء من بلاد الشام إضافة إلى أن التيارات الثورية لا تعترف بالحدود القطرية. وهنا يداهم الخطر اتفاقية "سايكس بيكو" إذ أن مهمة النظام وإلى الآن حمايتها فحسب "كوندوليزا رايس" أن الأزمة السورية تهدد النظام الإقليمي، وظهر لاحقا أنها تهدد النظام الدولي كاملا فالصراع بين قوى التقسيم والتوسع سيطول والمستقبل سيوضح ما سيحدث

كيف ينظر الغرب للعلويين: يظهر البحث أن جنيف (٢) سعى للحفاظ على "النظام العلوي" بكافة أجهزته ليتم إصلاحها تدريجيا كما يدعون "حفاظا على بنى الدولة"، وهنا بدأت الضغوط العسكرية حيث دعم النظام لقمع الثورة بكل الوسائل وبكافة الأسلحة بما فيها إدخال المرتزقة واستخدام التجييش الطائفي وهنا برزت المناورات السياسية، إذ أعلن الغرب عن نيته تسليح الثوار، لكنهم فعليا يعرقلون ذلك. وتبدو رسالة الغرب واضحة إذ أنهم يرغبون بنظام أقلي طائفي علوي على نظام سني علماني معتدل، وبالنتيجة هذا النظام الطائفي هو الأنسب لكل من إسرائيل و أمريكا وللعالم كافة لذا لا يفرطون به ولكن لا مفر من العدالة الإلهية ولو بعد حين، ويبقى الخيار للعلويين إما أن يسلموا السلطة ويصبحوا مواطنين عاديين أو يستأصل "حكمها جذريا"، فالتقسيم سيخسر الطائفة إضافة إلى تفجير المنطقة. إن المتتبع للأزمة السورية يدرك تماما وحسب الوقائع أن

bohooth1@gmail.com

هذا النظام ما كان ليصمد لولا الدعم الخارجي له متمثلا بإيران التي دخلت على الخط منذ بداية الأزمة سواء على الجبهات أو بالدعم المادي والاستشارات وغيرها، إضافة طبعا للعراق ممثلة بنوري المالكي ولا ننس روسيا الحليف القوي الذي يعتبر سوريا ورقته الوحيدة في الشرق الأوسط، لكن ومع تطور الأحداث في كل من العراق وإيران وروسيا نجد هؤلاء الحلفاء بدأوا بالتراجع عن دعمهم لبشار الأسد وبالتالي فإن نظام الأسد بدأ يخسر المعادلة الإقليمية والدولية مما ينبئ بأن نهايته أصبحت قريبة.

ومع حركات الربيع العربي ظهر الإسلاميون وما يطمحون به للسلطة لكن هذا أدى إلى تأييد ورفض لذلك الإسلام السياسي، فلا هم قادرون "الإسلاميون"، ولا الرافضون لهم قادرين على القضاء عليهم، وهنا لوحظ ظاهرة الجهاد الإسلامي متزايدة كما وكيفا في انتماءاتهم مما أدى طبعا لانتشار السلاح والعنف المسلح وهذا بدوره أدى إلى اصطفاف إقليمي حسب موقف كل دولة، إذ ظهرت النسبية والسببية على التقييمات الإقليمية. وبدراسة الحالة السورية "كما يرى الباحث"، نرى أن هناك جماعات مسلحة لا تحمل طابع إسلامي مثل فصائل الجيش الحر، وأخرى تكفيرية جهادية مثل داعش والنصرة، وهذا بالطبع خلق تنافس بين الدول الداعمة للثورة السورية حول الدعم والتسليح.

إلى ، تابع لما يواجه المنطقة اليوم يرى تغيرا جذريا في الجغرافيا وفي التحالفات وفي المنظومة الجيوسياسية وكذلك في الحروب القائمة على قاعدة طائفية، فما يحدث سيكون له تأثير طويل الأمد فالجغرافيا تتغير وممارسة النخب السياسية باقية على حالها.

الجغرافيا ومصالح أمريكا وإسرائيل: يقول الباحث أننا إذا راجعنا مراحل التاريخ ومنذ عام ١٩٦٧م، وصولا إلى هنري كيسنجر الذي اعترف بالتآمر على الدول العربية وعلى إيجاد دويلات في المنطقة إلى أيامنا هذه، نرى أن أي شيء يمكن حدوثه كالحروب التي تحدث في دولنا إلا المساس بمصالح أمريكا وإسرائيل وهذا جليا لكوننا أسرى لأحقادنا وحساباتنا الضيقة والانجرار خلف المؤامرات بما فيه دمارا لنا.

جغرافيا العالم العربي والإسلامي والحرب الباردة وتأثيرها على الربيع العربي:

لم ، تابع للأحداث وحسب رأي الباحث يلحظ عودة أجواء الحرب الباردة للعلاقات الدولية بين القطبين الروسي والآخر الأوروبي الامريكي لتقع دول العالم الثالث والقارة العربية الإسلامية بين فكي هذين القطبين كما حدث بانتقال موسكو وخبراتها لسورية لحماية نظام الأسد، وهكذا باتت سوريا الضحية حيث تم تحويل أعداء الثورات المكشوفين والمستورين إلى ، قلة مع الثوار الحقيقيين. ويتابع الباحث بحثه ليأخذنا إلى مصر وكيف أنها أهم طرف إقليمي بالنسبة للنضال الفلسطيني إذ أن كافة القيادات الفلسطينية كان همها دائما إرضاء السلطات المصرية، وحتى حماس أدركت "ديكتاتورية الجغرافية"، فتعاملت بشكل مباشر مع مصر رغم الخلاف الإيديولوجي بينهما، ولا يخفى أن لفلسطين تأثير على الأمن القومي والدور الإقليمي لمصر وحتى على الصعيد العربي الإسرائيلي حاولت مصر مسك العصا من المنتصف، أما الآن فإنها تسيئ لنفسها وللفلسطينيين على حد سواء،

bohooth1@gmail.com

ومع كل ذلك فإنها تحاول دائما أن تمنع الأمور من الوصول إلى نقطة اللاعودة، لكننا نستطيع أن نلحظ أن مصر مؤخرا قد فقدت تأثيرها في كثير من القضايا الإقليمية المهمة، أما عن الصراع الجيوسياسي الاستراتيجي في سوريا نرى أن عسكرة الثورة كانت في خدمة أجندات خاصة ولمصالح دولية والخاسر هو الشعب السوري بكل المقاييس، وقد تحولت هذه الحرب إلى حرب طائفية سنية شيعية عابرة للحدود، وكذلك أدت إلى حرب المبادئ الإيديولوجية والاقتصادية و الجيوسياسية، وبالمتابعة نرى الاستمرار في المناورات الديبلوماسية وعدم الوصول إلى أي حل، إذ تعتبر سوريا وبرأي الكثيرين معبر الطاقة وبوابة التهديد المباشر لأمن إسرائيل وهكذا هو الصراع حول الموارد الطبيعية والدين والمال.

النتائج

١ - الدور المحوري لا تصنعه الجغرافيا فقط.

٢ - الديموغرافيا الفتية لاعب أساسي في جغرافيا المنطقة.

٣ - العامل الإيديولوجي يجب ألا يؤثر على العامل الجغرافي (وخاصة اتهام بعض التيارات المعارضة بالإرهاب "مثل حماس بالنسبة لمصر"). فإن الدولة سوف تخسر دورها المحوري وتخسر مصداقيتها دوليا وشعبيا.

٤ - جغرافية العالم العربي لاعب أساسي في الحروب الباردة مستقبلا.

٥ - جغرافية العالم العربي لاعب أساسي في الصراع السياسي بين الدول الكبرى ، فهي مستهدفة جغرافيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا وفكريا ، ومن مصلحة الدول الكبرى المتصارعة أن تظل ممزقة.

٦ - لا بد من دراسة جغرافية المدن في الصراعات الداخلية وخاصة في الثورات الشعبية.

٧ - مشروع تقسيم الجغرافيا، يتطلع إليها الغرب من خلال مصالح أميركا في العالم ومصلحة إسرائيل في المنطقة.

٨ - إن الحراك الإقليمي في المنطقة ناجم عن ديناميكية القضايا والمحاور وهي محل الاستقطاب الحاصل. وهو ما يعني أن خارطة الشرق الأوسط ستشهد مزيدا من التحول والتبدل في تحالفاتها وأيضا في صراعاتها. غير أن المرجح هو عدم عودة التحالفات القديمة التقليدية على الرغم مما يبدو في الظاهر من عودة الأنظمة والقوى القائمة عليها، حيث القضايا تغيرت والمعطيات الداخلية خصوصا اختلفت كثيرا، وكذلك الحسابات والمصالح حتى بين الحلفاء قد تطورت بما يجعل المنطقة بالفعل حاليا بصدد بلورة وتشكل شرق أوسط جديد بأسس ومقومات ذاتية وتلقائية، نتاج حراك وشقاق إقليمي بامتياز، تجتمع فيه مردودات الحراك الداخلي، مع التفاعل والاحتكاك الخارجي.

٩ - إن أي حل جغرافي في سوريا يقود الى حلول جغرافية في لبنان ودول الجوار.

bohooth1@gmail.com

١٠ - جغرافيا الانتداب الإيراني تتمثل ب «تمدد خط الدفاع الإيراني من الحدود مع العراق ليصبح في جنوب لبنان عند الحدود مع إسرائيل»، إضافة إلى أن «ساحل البحر الأبيض المتوسط يمثل العمق الاستراتيجي لبلاده».

١١ - مشروع تقسيم الجغرافيا، يتطلع إليها الغرب من خلال استخدام الطوائف والأقليات في المنطقة.

١٢ - الواضح أن بقاء نظام بشار الأسد بات مستحيلا وأن نفوذ «حزب الله» حتى في لبنان لن يكون على ما كان عليه منذ ثمانينات القرن الماضي وحتى الآن ، ولقد بدأ العد العكسي ، ولذلك فإنه على أي معني بهذه الأزمة أن يحدد مواقفه منذ الآن وبسرعة!! وعندما يخسر نظام الأسد المعادلة الإقليمية والدولية لحساب معادلة جديدة ولو بالحدود الدنيا، فإن المفترض أن يدرك أن نهايته ونهاية نظامه باتت قريبة، وأن عليه أن يسارع للتخلي عن كل هذا العناد الأرعن، وأن يبحث جديا عن حلا يجعل مصيره كمصير رفيق دربه معمر القذافي.

١٣ - تطرح جملة التعقيدات الحاصلة في بنية الحدث المشرقي تساؤلا حول مسارات الأمور وحول مستقبل الاجتماع المشرقي وشكل الكيانات السياسية فيه، فهل ستتجه إلى نمط الدولة الفدرالية بحيث تتيح للمكونات درجة أكبر من الحرية في إظهار خصوصياتها والمشاركة في الثروات الوطنية، أم تتجه إلى النمط الكونفدرالي الذي ينطوي على درجة أكبر من استقلال المكونات مع البقاء على شكل من الوحدة تفرضه المصالح المشتركة والحاجة لكيانات سياسية أكبر؟، أم لا هذا ولا ذاك، بحيث تنتهي الأزمة الحالية إلى قطيعة نهائية بين مختلف المكونات ما يدفعها إلى الانفصال النهائي؟ يمكن التأكيد أن الوقائع الجغرافية للدول المشرقية تنتصر لشكل الدولة البسيطة الموحدة، وهذا سر نجاح ترسيمة سايكس بيكو واستمرارها، وذلك لمراعاتها بدرجة كبيرة العلاقات التاريخية داخل كل حيز بما يضمن استمرار التفاعلات القائمة أصلا داخل الإقليم، وبما يحقق الفعالية المستقبلية وذلك من خلال تأمين شروط استمرار كل كيان جغرافي وإمكانيات تطوره من حيث الواجهات البحرية وطرق التجارة وعلاقة مناطق الإنتاج بالأسواق والعكس. غير أن التطورات السياسية باتت تشكل عاملا طاردا لمثل هذا الشكل لأن أحد شروط استمراره يقوم على شرط سياسي وهو غلبة طرف على آخر وإخضاعه لحكمه، وهو أمر لم يعد ممكنا حصوله بعد كل ذلك الصراع الدامي، ما يفتح الباب أمام المقاربات الأخرى القائمة على أشكال الفدرالية والكونفدرالية. غير أن التجربة التاريخية، وخاصة في حالات العراق ولبنان تكشف عن عجز هائل في إمكانية الانتقال إلى هذا الشكل بعد عقود من إدارة مركزية لا ديمقراطية، فضلا عن حقيقة أن تطبيق هذه الأشكال في دول قلقة وغير متماسكة الشرعية تعني تعريض تلك البلدان للتقسيم ونشوء دويلات وممالك جديدة في بيئة دولية غير ممانعة لحدوث مثل هذا الأمر طالما بقيت تحافظ على مصالحها.

١٤ – إن الصراع القادم على جغرافية المنطقة وخاصة بعد ازاحة النظام الأسدي سوف يكون بين تركيا والمملكة العربية السعودية ، ففي حال انتصار تركيا فسوف يكون للاخوان المسلمون الدور الأكبر في سوريا الجديدة ، و إن انتصرت المملكة العربية السعودية فلن يكون للإخوان المسلمون أي دور.

bohooth1@gmail.com

أما التفاهم المبدئي بين أمريكا وروسيا حول سوريا المسرب فهو:

تشكيل حكومة من ثلاث عشرات. عشر وزارات لحزب البعث تضم الوزارات السيادية الأساسية. وعشر وزارات للتكنوقراط (كيف يتم اختيارهم خصوصا انه لا يوجد تكنوقراطي غير مسيس وحيادي مئة في المئة). وعشر وزارات للمعارضة والسؤال أي معارضة ومن يمثلها وهذه نقطة خلافية عميقة باعتراف الأسديين. مع اجراء انتخابات تشريعية جديدة.

التوصيات

١- على التيارات الإسلامية والوطنية دراسة واقع جغرافية بلدانها وتأثيرها الإقليمي والدولي.

٢- ضرورة دراسة دور الاقتصاد في الجغرافيا السياسية.

bohooth1@gmail.com